مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 09 ،العدد 02 ،جوان 2024، ص - ص:138.-164

مسألة الأسرى الإنجليز في العلاقات الجزائرية الإنجليزية خلال القرن السابع عشر، بين الحلول الدبلوماسية وسياسة الزوارق البحرية.

The Issue of the British Slaves in the Algerian-British Relations in the Seventeenth century, between diplomatic Solutions and the Policy of Sea boats

ط د حياة بعيبن(*) ط/د؛ مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور؛ جامعة يحي فارس المدية، (الجزائر)، baiben.hayet@univer-medea.dz	**أ د رشيد مياد** جامعة يحي فارس المدية، (الجزائر)، miad.rachid@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 11 /2023/07 **تاريخ القبول**: 20 /2024/05 **تاريخ النشر**: 27 /2024/06

الملخص

مع تنامي القوّة البحريّة الإنجليزية في العصر الحديث، واتساع إمبراطوريتها التّجارية أصبح تأمين الطرق البحريّة للبحر الأبيض المتوسط أمرًا حتميًا بالنّسبة لها، وهذا ما جعلها تصطدم بالقوّة البحريّة الجزائريّة التي أخذت على عاتقها، مسؤوليّة الجهاد البحري، وتأمين مصالحها الوطنية، من خلال حجز السفن المخالفة لمبادئها، واسر ركابها، وكردّ فعل على ذلك انتهجت إنجلترا سياسة تجاه إيالة الجزائر تتأرجح بين الحلول الدبلوماسية، وسياسة الزوارق البحرية.

الكلمات الدالة: القرصنة البحرية؛ الجهاد البحري؛ سياسة الزوارق البحرية؛ الالتماسات البرلمانية.

Abstract:

With growth of English naval, power in the modern era and in the expansion of. Its commercial empire, securing the narrative routes of the Mediterranean sea became inevitable for it, and this is what made it collide with the Algerian Naval force wish took upon its self the responsibility of naval jihad and securing its national interests by seizing ships contrary to its contrary to its principles, and capturing their passenger ,this prompted England to pursue to policy towards the regency of Algeria oscillating the diplomatic, solutions, and the policy of naval boats.

Keywords: Maritime piracy ; Maritime boats policy ; Parlementary petitions.

* **المؤلف المرسل**

1.مقدمة:

شهد القرن السادس عشر للميلاد، تحولاً كبيرًا في موازين القوى، وذلك من خلال ظهور قوى بحرية جديدة، على غرار إنجلترا التي أضحت أكثر تصميمًا على حجز مكان لها في البحر المتوسط، بهدف الحفاظ على مصالحها التجارية، ومكاسبها العسكرية، بالرغم من أنّ ذلك قد يجرّها إلى مواجهة غير مباشرة مع الإمبراطورية الأقوى وهي الدولة العثمانية، إلا إنها حاولت الموازنة بين فرض هيبتها كدولة في طور الصعود إلى مراكز القوى العالمية، وبين حرصها على الحفاظ على علاقاتها معها، وذلك بتبني سياسة واضحة المعالم تجاه إيالاتها الأقوى في الحوض الغربي للمتوسط.

الجزائر التي حملت على عاتقها مسؤولية مواجهة حركة الطّرد التّعسفي لمسلمي الأندلس، وللاحتلال الاسباني الصليبيّ للسواحل المغاربية، وحركة القرصنة المسيحيّة في حوض البحر المتوسط، من خلال تبنّيها لسياسة الجهاد البحري ضدّ الدّول المسيحيّة، فأصبحت سفن الدّول الأوروبية الغير معاهدة عرضة لهجماتها بما فيها السّفن الإنجليزية. وهو ما أوقع العديد من الانجليز وسفنهم في الاسر الجزائري، في زمن تميز بتصاعد حركة القرصنة البحرية التي اعتبرت نظاما عالميا، مارسته العديد من القوى البحرية للحفاظ على مصالحها.

تعالج الورقة التالية مسألة في غاية من الأهمية؛ تتعلق بقضية الأسرى الانجليز في إيالة الجزائر، وموقف مملكة إنجلترا حيالها، وذلك ما جعلنا نطرح الإشكالية الرئيسية التالية:

فيما تتمثّل سياسة مملكة إنجلترا تجاه قضية أسر الرعايا الإنجليز من قبل البحرية الجزائرية؟

ويتفرع عن هاته الإشكالية مجموعة من الإشكاليات الفرعية هي كالتالي:

–ماهي مبادئ السياسة الخارجية الجزائرية تجاه السفن الإنجليزية ورعاياها، وما هو موقفها حيال الالتزامات الدولية للإمبراطورية العثمانية تجاه مملكة إنجلترا؟

-كيف تعاملت مملكة إنجلترا مع قضية الأسرى الإنجليز، وكيف كان تأثير القضية على الواقع السياسي والاجتماعي الإنجليزي؟

وللإجابة على تلك التساؤلات، ارتأينا اتباع المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، الذي يعتمد على عرض الأحداث التاريخية وتحليلها وتتبعها كرونولوجيا.

2. أسس العلاقات الإنجليزيّة الجزائريّة:

لم تكن العلاقات الجزائريّة الإنجليزيّة ضاربة في العمق التاريخي، على غرار ما كان عليه الحال بالنسبة لبعض دول جنوب أوروبا؛ كالدويلات الإيطالية، أو اسبانيا، أو البرتغال، فهي تعتبر حديثة نسبيًا، فرضتها تغيرات توازنات القوى التي أسفرت عن تصاعد قوى أخرى، دخلت حوض المتوسط محاولة منها للسيطرة على الطرق التجارية البحرية، ومصادر الثّروة وعلى الأراضي الجديدة، نظرًا لإدراك إنجلترا أهمية الحوض المتوسطي ،باعتباره نقطة الاتّصال البحري بين البحر الأحمر، المحيط الأطلسي وبحر الشمال، وهو البحر الذي بدا أكثر ليونة في يدّ القوى الإسلامية البحرية الصاعدة المنضوية تحت جناح الإمبراطورية العثمانية، والتي شكلت إيالة الجزائر فيها قوتها الضاربة، فنشأت العلاقات الجزائرية البريطانية اعتبارًا من عدّة عوامل أسّست لميلادها.

1.2. معاهدة الامتياز العثمانية الفرنسية 1536م:

تعتبر معاهدة الامتياز العثمانية الفرنسية المبرمة بين السلطان "سليمان القانوني" والملك الفرنسي "فرانسوا الأول" أوّل معاهدة امتياز لدولة أوروبية بعد فتح القسطنطينية[1]، أقرّت بموجبها للتجار الفرنسيين ممارسة نشاطاتهم التجارية في أراضي الدولة العثمانية، وتضمنت إعفاءات جبائية لكلا الطرفان في المجال التجاري، ولم يلزموا إلا بدفع رسوم جمركية بنسبة خمسة بالمئة على بضائعهم[2]،كما منحت الفرصة للتّجارة الإنجليزية في أراضي الدّولة العثمانية من خلال الوكالة التّجارية التي خوّلت لفرنسا الإشراف على العمليات التجارية الإنجليزية. إذ أتاح البند الخامس عشر منها حقّ الاشتراك في منافع المعاهدة لكل من البابا وملك بريطانيا، وما يستتبع ذلك من حقّ للإقامة للتجار[3] وقد وقّعها عن الجانب العثماني الصدر الأعظم "إبراهيم

باشا" وعن الجانب الفرنسي الوزير **De la forêt**[4] و أصبح الفرنسيون بذلك أول قوّة مسيحية غير مجاورة، تقيم علاقات مع العثمانيّين من خلال سفير مقيم[5] وبذلك خطت إنجلترا أول خطوة لها للتجارة في الأراضي العثمانية، والملاحظ هنا أنّه وبالرغم من تصاعد الصراع الديني المسيحي الإسلامي، إلا أنّ الطّرفان تمكّنا من تجاوز حالة الاستقطاب التي فرضها الصراع، وتمكنا من العمل من أجل مصالحهما المشتركة.

2.2. معاهدة الامتياز العثمانية الإنجليزية 1580م:

لقد كان للعداء المشترك للإمبراطورية الرومانية المقدّسة من قبل العثمانيين والانجليز وللتوسع التجاري الإنجليزي، وللإرادة السياسية للملكة اليزابيت في تطوير علاقات إنجلترا بالعالم الإسلامي، أبلغ الأثر في تسريع الانسجام العثماني البريطاني[6] فالعدوّ الاسباني المشترك لهما يهدّد شمال إفريقيا، ولا يزال يحتل أراضي شاسعة منها، وبالرغم من وجود أنشطة تجارية انجليزية في الدولة العثمانية منذ سنة **1553**،سنة حصول التّاجر الانجليزي **Jenkison Antony** عند لقاءه في حلب بالسلطان العثماني،وحصوله منه على ترخيص لمزاولة النشاط التجاري بأراضي الدولة العثمانية[7]،إلاّ أنّ العلاقات بين الدولتين لم ترق للمستوى المأمول للملكة، وبقي توسع التجارة الإنجليزية في بلاد الشام مرهونا بالإشراف الفرنسي، لكن المراسلات بين السلطان "مراد الثالث" والملكة "اليزابيت"، عملت على توطيد العلاقات في إطار دبلوماسي رسمي، وساهم الانفتاح السياسي للملكة "اليزابيت" في الارتقاء بها إلى التعاون التجاري والتّمثيل الدبلوماسي، خاصة وأنّ الملكة ترقب بحذر تقدم العلاقات العثمانية الفرنسية من جهة، وخطر إمبراطورية "لويس فيليب" من جهة أخرى.

أسفرت الاتصالات عن إبرام معاهدة الامتياز العثمانية البريطانية سنة **1580**م، وتم تخصيص سبعة بنود منها للمسائل التجارية وسمح بمقتضاها للسفن التجارية رفع العلم الإنجليزي، وتخفيض نسبة الضرائب لتصبح **3** بالمائة [8] وهي أقل مما منح للتجار الفرنسيين كما استدعى توسع التجارة الإنجليزية الكبير وامتدادها في جنوب شرق آسيا والعالم الجديد، إنشاء

شركات تجارية تولّت في البداية تأطير الممثلين الدبلوماسيين وتمويلهم، فتأسّست شركة "المشرق"[9] أو "الليفانت" **Levant** في سنة **1581**م بهدف الإشراف على التجارة الإنجليزية في بلاد الشام وشركة "برباري" **Barbary** سنة **1585**م، لتنظيم التجارة وتمويلها بالمغرب، والعمل على توسيع التجارة الإنجليزية خارج أوروبا، وتأمين إمداد منتظم بالسلع الفاخرة.[10]

ومن أهم **نتائج** المعاهدة:

– كسرالاحتكار الفرنسي ، في الوساطة التجارية ، وتحكم تجّار البندقية في تجارة المشرق.

– السماح للدّولة العثمانية بتوفير المواد الحربية اللازمة لمواجهة العجز في المخزون لمجابهة القوّة الصفوية المجاورة[11].

وجدت الجزائر نفسها أمام أمر واقع، فرض عليها احترام التزامات الدولة العثمانية المبرمة بين السلطان "مراد الثالث" والملكة "اليزابيث"، التي سمحت للسّفن الإنجليزية بالتجارة، والتنقل في البحار العثمانية خاصة وأنّ الجزائر كانت في مرحلة بناء الإيالة البحرية، ولا تزال بحاجة لتمتين علاقاتها بالباب العالي، وقد أدّى هذا التقارب الدبلوماسي إلى توسّع التجارة الإنجليزية في البحر المتوسط، خاصة أنها أقصر الطرق التجارية البحرية نحو جنوب شرق آسيا؛ جنة المستعمرات التجارية الإنجليزية، وهو الأمر الذي جعل من إقامة علاقات دبلوماسية مع إيالات الدولة العثمانية أكثر من ضرورة في بلاد المغارب، خاصة الجزائر نظرًا لقوّتها البحرية التي أصبحت أكثر هيبة، بعد سلسلة العمليات الناجحة التي قادها الأسطول الجزائري، في فترة اشتد فيها نشاط الجهاد البحري في المتوسط، في مواجهة حركة القرصنة المسيحية ضد المسلمين ،واستهدفت إنجلترا من خلال ربط تلك العلاقات، ضمان المرور الامن لسفنها وعدم استهدافها من قبل الرياس الجزائريين، ساعية لاستغلال معاهدة الامتياز المبرمة مع الدولة العثمانية، لتوسيع علاقاتها التجارية والدبلوماسية مع الجزائر، وباقي الإيالات المغاربية.

3. محاور العلاقات الجزائريّة الإنجليزية:

أقيمت العلاقات بين إنجلترا وإيالة الجزائر على أسس قانونية، تمثّلت أساسًا في المعاهدات المبرمة بين الدولة العثمانية وفرنسا ،وكذا معاهدة الامتياز المبرمة بين الدّولة العثمانية وانجلترا، وتمحورت العلاقات بينهما حول عدّة قضايا، حدّدت لاحقًا كما تحكّمت هذه المحاور في تحديد طبيعة العلاقة بين الطرفان طيلة القرن السابع عشر، وعلى أساسها تنسجم العلاقة بينهما أو تتوتّر، وكانت التّجارة أساس هذا التّقارب خاصة بالنسبة لإنجلترا التي بدت في أوجّ قوّتها التجاريّة والبحريّة.

1.3. النّشاط التّجاري:

بدأت العلاقات الإنجليزية الجزائرية، في إطار التوسع الإنجليزي التجاري الذي ترسم بموجب معاهدتيّ الامتياز الفرنسيّة والإنجليزيّة مع الدّولة العثمانية، واستنادًا إلى بنودها تمكّن التّاجر الإنجليزي "**Thomas Seiguilton**" من الحصول على رخصة للتنقل في الجزائر ،ومزاولة التجارة[12]، وقد شملت المبادلات التجارية بين الجزائر وانجلترا؛ السلع التي تحتاجها الجزائر في صناعتها الحربية والبحرية؛ مثل الرصاص القصدير والنحاس، بالإضافة للقماش والصوف، في حين تستورد إنجلترا من الجزائر؛ الشموع الزيوت اللحوم المجففة، الحمص والجلود[13].

2.3. الجهاد البحري وظاهرة الأسر:

لم تكن إنجلترا بمعزلٍ عن نشاط القرصنة؛ إذ أن أساس نشأة الإمبراطورية التجارية البحرية لإنجلترا، والتي امتدت إلى أقاصي آسيا والعالم الجديد، هي حركة المطاردة والنهب في البحار بحيث فرض عليها موقعها الجغرافي، كونها جزيرة تعانق البحر ونمو تجارتها المتسارع عبر العالم، أن تضمن أمن الطرق البحريّة التجاريّة لسفنها وتجّارها، وأن تساير القرصنة بل وتبرع فيها فيشتهر بها بحارتها، وهو النّشاط الذي طبع العصر الحديث فأصبح نظامًا عالميًا، وأنتج حركة الكشوفات البحريّة والجغرافيّة التي كانت إنجلترا طرفًا منافسًا فيها.

مارست الدول البحرية القرصنة، او العنف البحري وفق العرف الدولي السائد آنذاك، خاصة في سياق الصراع المسيحي الإسلامي الذي ساهم في تنامي الظاهرة، ونتج عنها حركة تنقل بشري هائلة بين مختلف الدّول والبحار، ولم تكن إيالات المغارب العثمانية بمعزل عنها خاصة منها إيالة الجزائر التي أدرك قادتها مبكرا أهمية موقعها الجغرافي، وما يفرضه عليها من تحديات لمواجهة الخطر المسيحي ، عن طريق الجهاد البحري وإيمانًا بمكانة الجزائر الحربيّة؛ بوصفها مدينة القوّة البحريّة الأكثر استهدافًا[14]كثف الرياس الجزائريون من هجماتهم البحرية على الأهداف الأوروبية، خاصة بعد حركة الطّرد التعسّفي لمسلمي الأندلس؛ حيث شهدت سواحل شمال إفريقيا وصول الآلاف من المسلمين من أيبيريا في موجة عام **1600**م، ولم تكن السّفن الإنجليزية في مأمن من هجمات الرياس الجزائريين خاصة بعد إبرام معاهدة الصّلح الأنجلو اسبانية سنة **1604**[15]فتوقّف بحارة الجزائر، عن اعتبار الانجليز تجار أو حلفاء[16]وأصبحت سفنهم هدفا للاستيلاء، ورعاياهم عرضة للأسرِ والاسترقاق.

لقد رأت السّلطة السياسيّة الجزائريّة في إبرام الصلح الأنجلو-إسباني تجاهلاً لمظاهر حسن النوايا التي أظهرتها الجزائر تجاه التجار الانجليز، ونظرًا للتحديّات الجديدة وجدت الجزائر نفسها مجبرة على تحمّل مسؤوليتها في حركة الجهاد البحري، التي فرضتها عليها ظروف المصلحة الوطنية والمخاطر الإقليمية، التي تهددها[17]، واعتبرت "قرصنة بحرية" من وجهة نظر الدّول الأوربية ، تهدد سفنها ،وسواحلها البحرية، تستدعي التحالف والردع، بالرغم من كونها أصبحت نظامًا عالميًا قامت عليه توازنات العصر الحديث، إلاّ أن الدّول الأوروبيّة حاولت تجريمه إذا ما صدر عن الجزائر أو دول العالم الإسلامي، في حين اختارت الجزائر مراعاة المصالح الوطنية، خاصة وأن الصلح مع اسبانيا، ضاعف من خروقات الانجليز لالتزاماتهم تجاه الجزائر، ولم يروا حرجًا في نقل السلع والرعايا الأسبان على سفنهم، المارة عبر المجال البحري الإسلامي بالرغم ممّا قد يسبّبه ذلك من توتر مع الدولة العثمانية، باعتبارها دول معاهدة ، وتربطها بها معاهدات تجارة وتحالفات، فباشرت البحريّة الجزائرية على أثرها عمليات قنص السّفن

الإنجليزية في البحر المتوسط وفي أعالي البحار، وهو ما أدّى إلى أسر الآلاف من الرعايا الانجليز.

شكّل موضوع الأسر المغاربي والجزائري تحديدًا للرعايا الانجليز هاجسًا في الضمير الإنجليزي، فقد وصف" فرانسيس ناي" مدينة الجزائر البحرية بأنّها "المدينة القاتلة لكلّ المسيحيين[18] وهو الذي خدم في القوادس الجزائرية لسبع سنوات وشهد مختلف موجات الأسر التي حلت بسواحل الجزائر، وبالرغم من مبالغة في شيطنة للبحارة الجزائريين في كتابات الرّواة الانجليز وشهاداتهم، فإن ذلك لا يمنع من تأكيد حجم الاستيلاء الذي تتعرض له السفن الإنجليزية، على يد الجزائريين، فقد تمكّنت البحرية الجزائريّة من الاستيلاء على أكثر من 353 سفينة ما بين 1672 و1682م، وهو ما يعني أسر أزيد من 2555 الرّعايا الانجليز[19] واعترفت البحريّة الملكيّة البريطانيّة بفقدان 466 سفينة انجليزية واسكتلندية، لصالح الجزائريين ما بين 1606 و1609م.

في حين افترض الباحث "جون مورغان" أنّه لو تمّ أسر ما بين ثمانية إلى اثني عشر انجليزي من كلّ سفينة، فإن معنى ذلك أسر الآلاف من الرعايا المستعبدين في إيالة الجزائر[20] كما ينقل الأب "دان" الهجومات التي قادها "مراد رايس" على سواحل بريطانيا و"بالتيمور"[21]، فردّت إنجلترا بتجريم الجهاد البحري الجزائري وإطلاق صفة القرصنة عليه، واستنادًا لمعاهدة الامتياز العثمانية البريطانية والتي تحمي التجارة والسفن البريطانية من مثل تلك الممارسات ،واعتبارها أعمالا عداءيه غير مشروعة حسبها، بالنظر لعمق العلاقة البريطانيّة العثمانيّة، وبالرغم من كون إنجلترا كانت تمارس نفس النشاط[22] على نطاق واسع في إطار التسابق على الحركة الاستعمارية، في الأراضي الجديدة وفي الكاريبي وغرب إفريقيا على سواحل الأطلسي، واشتهر قراصنتها بقوتهم وقسوتهم، إلا أنّها عارضته بشدّة إذا ما مورس ضد سفنها ورعاياها، في حين لم تكن هجمات الجزائريين إلا رد فعل على سياسة القرصنة المسيحية، والخروقات الإنجليزية لالتزاماتها وانتهاكها لمبادئ المرور لما تعتبره مجالا بحريا جزائريا، ناهيك عن القرصنة الأوروبية ضدّ المسلمين، خاصة بعد وصول موجة جديدة من الأندلسيين إلى سواحل

شمال إفريقيا هربًا من الاضطهاد المسيحي، ويعتقد الباحث "نبيل مطر" ان المسلم المغاربي، لم يكن ليفصل عناصر الطرد التعسفي للمسلمين عند نسبته للنصارى؛ "إذ لم تختلف نظرة المسلم و الموريسكي للنصراني الأيبيري، الذي طرده من أرضه عن البروتستانتي القادم من بحر الشمال، لقد كانوا عنده سواء، ملة الكفر والظلم واحدة، وعلى هذا الأساس تلقى الانجليز في بحار المغارب تلك النظرة النمطية عن النصراني" واعتبرت سفنهم هدفا مشروعا للقنص، والاستيلاء، ورعاياهم للأسر والعبودية، كما منحت الجزائر فرصة المرور الامن لسفن الدول المعاهدة ، شرط الالتزام بالشروط المتفق عليها وفق المعاهدات ،والعرف الدولي .

3.3. مبادئ السياسة الخارجية لإيالة الجزائر البحرية:

أوجدت الجزائر سياسة خارجية مرنة، فلم تعمد لقطع علاقاتها بالدول الأوروبية ومنها إنجلترا، وهي بصدد مواجهة التحديات التي فرضتها موازين القوى، وطبيعة الصراع المسيحي الإسلامي الذي اخذ في التحرر من النزعة الدينية شيءا ما، ليتحول إلى صراع على المصالح التجارية والاقتصادية، فأرست مبادئ لسياستها الخارجية ، لا يمكن لأي طرف أجنبي تجاوزها، وتتمثل تلك المبادئ فيما يلي:

– رفض نقل سلع ورعايا الدّول المعادية على متن السفن المعاهدة، على غرار سلع ورعايا اسبانيا أو البندقية، وهو المبدأ الذي كثيرا ما انتهك من قبل فرنسا، وانجلترا ، لنقلها باستمرار رعايا اسبان أو بنادقة، وهو ما ينقل علاقات الجزائر بها، من حالة الاستقرار إلى التوتر والتصعيد ، الذي قد يصل أحيانًا لحدّ المواجهة.

– المطالبة بالتعاهد المباشر مع الجزائر[23] وعدم احترام التزامات الدّولة العثمانية التي تتعارض ومصالحها الوطنية، وهذا وضّح جليًا، خلال إبرام معاهدة انجليزية جزائرية **سنة**1622**م**، التي أظهرت استقلال شبه كلّي للرياس عن الباب العالي في تحديد بنودها.

–مبدأ المعاملة بالمثل، والتعامل بالند، في مفاوضاتها مع الدول الأوروبية.

– تطبيق إجراءات التفتيش للسفن الأوروبية، والتأكد من صحة جوازات المرور، ومن نوعية حمولتها، ووجهة وركابها ، خاصة "وأنّها تدرك أنّ الأوروبيون يستخدمون الغشّ والتزويرباستمرار، سواء بالنسبة للجوازات ،أو هويات السفن، أو السلع المحمولة"[24].

– مبدأ عدم الخضوع خاصة عند إجراء المفاوضات، نظرا "لاقتناعها المطلق بالتفوق البحري"[25].

على هذا الأساس، وبالنظر لحجم السفن الجزائرية والإسلامية التي يتم الاستيلاء عليها بشكل دوري، ومتواصل في البحر المتوسط وفي البحر الأحمر ،وفي أعالي البحار، منحت الجزائر لنفسها حقّ اعتراض السفن الإنجليزية المخالفة لمبادئ سياستها، وانتهجت خطّة تتمثل أساسًا في ردّ تلك الاعتداءات والتحرشات، في مجالها البحري ثم تنتقل لمرحلة "الهجوم والتتبع"، وضرب أوكار القرصنة في عقر دارها، وفي أعالي البحار.

4. السياسة الإنجليزية تجاه نشاط إيالة الجزائر البحرية:

رسمت بريطانيا سياسة واضحة المعالم، تجاه حركة الجهاد البحري التي قادها رياس البحر الجزائري، بنيت أساسًا على مبدأ عدم الرضوخ لما اعتبرته ابتزازًا دبلوماسيًا، وذلك من خلال اتخاذها عدّة إجراءات، حاولت من خلالها تحقيق أهدافها في إرغام الجزائر على الإذعان لمطالبها في تحرير الأسرى، وذلك من خلال:

– سحب التجارة لبعض الوقت من الجزائر

– سحب سفير جلالة الملك لدى الباب العالي

– رفض دفع الفدية لرياس الجزائر، لأنها رأت في ذلك تشجيعًا لهم على القرصنة والنهب[26].

و تمسكت الجزائر بحقّها في تطبيق مبادئ سياستها الخارجية، بالرغم من كونها أصبحت بموجب النظام الإداري العثماني "باشوية عثمانية"، ومايفرضه ذلك الانتماء من التناغم والتوافق مع سياسة الباب العالي في علاقاته الخارجية، إلا أنّها حرصت على الحفاظ على درجة كبيرة من حرية القرار السياسي، وتفاوضت مع مختلف القوى على هذا الأساس، داخل الإمبراطورية العثمانية وخارجها، وتعتبر "دفع فدية الأسرى" شرطًا أساسيًا لأيّ مفاوضات على السلام أو

أيّ تمثيل دبلوماسي لاحق، وفي الوقت الذي تمكّن فيه الانجليز من فرض إرادتهم العسكرية والتجارية في أجزاء واسعة من العالم الجديد ،وفي شبه القارة الهندية، بدوا عاجزين عن ذلك في السواحل الجزائرية وعن السيطرة عن ما اعتبرته "حركة القرصنة البربرية"[27]، التي وصلت الى القناة الإنجليزية ،لدرجة أنّ أحد وكلاء الانجليز كتب يصف حالة السواحل الإنجليزية المتعرضة لهجمات الجزائريين المستمرة، لم تمتلئ "لانندزانيد" أكثر من أيّ وقت من الأوقات بالقراصنة مثل هذا الوقت، فقد غدت سفن القراصنة متراصة ببعض؛ مثل حبّات الذرى[28].

وبالرغم من بحريته انجلترا المتطورة وتقاليدها العريقة في معانقة البحر، إلاّ أنّها بدت غير قادرة على التحكم في تجارة الرّقيق في المحيط الأطلسي والمتوسطي، ولا تزال حصّتها صغيرة في البحار الإسلامية ، كالبحر الأحمر ،اوالبحر المتوسط؛ إذ بقيت البحرية الإسلامية المحسوبة على الدّولة العثمانية، صعبة الاختراق، بحيث أسفر الجهاد البحري عن أسر ألاف الرعايا الانجليز، والاستيلاء على مئات السفن، فكانت مسألة الأسرى من أهم محاور التوتر بين البلدين في القرن السابع عشر ومعضلة سياسية، استدعت النقاش بين نواب البرلمان الإنجليزي واستطاعت أن تشكّل مركزًا لاستقطاب آخر من المعارضة ضدّ الملك[29].

1.4. السياسة الإنجليزية بين الدبلوماسية والزوارق البحرية:

وقد حاولت بريطانيا معالجة القضية من خلال، الجهود الدبلوماسية المتمثلة أساسا في إيداع شكاوى لدى الباب العالي بخصوص تلك الهجمات، على اعتبار الجزائر إيالة عثمانية فمنذ بداية التواجد الإنجليزي التجاري في أقاليم الجزائر، ولغاية 1620م، اتسمت العلاقات بالمهادنة، إلاّ أنّها بعد ذلك أشركت النواب في البرلمان في المشكلة، من خلال سنه لقوانين تحرير الأسرى وصياغة الالتماسات البرلمانية، وبعدما تمكنت إنجلترا من تطوير قوتها البحرية لجاءت إلى أسلوب جديد يجمع بين الدعوة للتباحث والتهديد بالضربة البحرية.

1.1.4. الطرق الدبلوماسية:

وذلك من خلال تقديم شكاوى للباب العالي؛ بحيث ناشدت الحكومة البريطانية السلطان العثماني في مناسبات عديدة التدخل من أجل إسداء تعليماته إلى بايات الجزائر[30]،

وقد أثمرت جهودها الدبلوماسية أحيانًا من خلال توكيل ممثّل شركة "المشرق" في بلاد الشام، للتوسط لدى الباب العالي لإطلاق سراح الأسرى الانجليز وحماية السّفن الإنجليزية من ضربات الرياس الجزائريين؛ خاصة وان الدّولة العثمانية كانت حريصة على الحفاظ على علاقات حسنة بإنجلترا مراعاة لتوازنات القوّة مع محيطها الأوروبي، في ذا الصدد أرسل السيد William Harborn إلى أمين صندوق الجزائر "حسن أغا"، ذو الأصول الإنجليزية رسالة لاستعطافه من أجل التوسط لدى الرياس الجزائريين لتحرير الأسرى الانجليز[31]، كما تدخلت الملكة "اليزابيت" وكتبت رسالة إلى حاكم الجزائر تطلب أن يتم التعامل مع الرعايا الإنجليز بشكل أفضل، مهددة بنقل شكواها للباب العالي[32]وهو الأمر الذي دفع بالسلطان العثماني إلى إسداء تعليمات لباشاوات الجزائر لتقديم العون والمساعدة للإنجليز في حال تعرض سفنهم للعواصف، وبضرورة تزويدها بالمؤن اللازمة والغذاء[33]تحت طائلة العزل والإقالة من مناصبهم في حال مخالفة تعليماته.

في هذا الصدد؛ لا يزال الرياس يذكرون مصير أحد بايات الجزائر سنة **1585**م، وقد تلقى أمرًا من الباب العالي باطلاق سراح أسرى إحدى السفن الإنجليزية، لكنه رفض فواجه العزل بسبب موقفه[34]، حرصا من الباب العالي على الاحتفاظ بإنجلترا كخصم سياسي معتدل، لطالما تميزت سياستها تجاه إسطنبول بالمهادنة.

في حين استهدفت إنجلترا من سياسة الدبلوماسية وضبط النفس تجاه إيالة الجزائر الحفاظ على مصالحها التجارية مع الدولة العثمانية، خاصة وأنها تمثل ربع النشاط التجاري لإنجلترا فيما وراء البحار حسب جون تشاردين[35]، ومع مرور الوقت أضحت الدّولة العثمانية غير قادرة في كثير من الأحيان على فرض ارادتها على سلطات الديوان بالجزائر، خاصة في فترات قوة الإيالة. ومع النصف الثاني من القرن السابع عشر، أصبحت الجزائر أكثر قدرة على فرض كلمتها في الميدان ، وأقل التزامًا بتعليمات الباب العالي فيما يهدّد مصالحها، في الوقت الذي تمكّن فيه الانجليز من تطوير قوتهم البحرية، وهو ما دفعهم لانتهاج أسلوب آخر يوازن

بين التلويح باستخدام القوة البحرية، وتوجيه الضربات لمدينة الجزائر، وبين الجلوس للمفاوضات لحلّ المسائل العالقة.

2.1.4. الجهود البرلمانية والالتماسات النسائية:

أصبحت مسالة الأسرى قضية الشعب الإنجليزي، فقد مست جميع الطبقات والأقاليم، ومنذ أوائل القرن السابع عشر بدأت جهود النواب البرلمانيين في التصاعد.

تطورت الالتماسات النسائية لتصبح وسيلة فعالة للضغط على المنتخبين المحليين والوطنيين وساعدت على إطلاق جهود حكومية واسعة[36]، للعمل على تحرير الأسرى الإنجليز؛ بحيث قدّمت مجموعة من النساء التماسًا للبرلمان للمطالبة بتحرير ذويهن المحتجزين في الجزائر[37]، وهو التحوّل الاجتماعي الذي أحدثته السياسة الجزائرية في النظم الاجتماعية الإنجليزية؛ إذ اعتبر تقديم النّسوة الإنجليزيات الالتماس للبرلمان سابقة اجتماعية وسياسية، أثبت عمق التأثير الذي أحدثته السياسة الجزائرية وحركة الجهاد البحري، في أعالي البحار على الواقع السياسي والاجتماعي لإنجلترا بداية القرن السابع عشر.

كما أسفرت مداولات البرلمان الإنجليزي المنعقد للتباحث في كيفية تحرير الأسرى الإنجليز، عن سن تشريعات وقوانين للعمل على تحرير الأسرى، مثل "قانون جمع التبرعات لفداء الأسرى بالجزائر الصادر افريل **1643**م، وقانون "افتداء أسري الجزائر" الصادر في أكتوبر **1644**م، "قانون جمع أموال افتداء الاسرى البائسين" الصادر يوم **28** جانفي **1645**م[38]كما اتخذت لجنة الشؤون الخارجية قرار القيام بعدّة إجراءات:

- فرض ضريبة قدرها واحد بالمائة على كلّ عمليات البيع التي يقوم بها التجار الانجليز وتخصيصها لدفع فدية الأسرى.

- اللّجوء إلى كتابة التماس لباشوات الجزائر، للنظر في أحوال الأسرى الانجليز، والعمل على إطلاق سراحهم. مع تكليف التاجر "لويس هودجيز" بتسليمها للقنصل البريطاني في الجزائر، لكن ذلك لم يحقق أهداف بريطانيا؛ فلجأت إلى تصعيد موقفها من خلال اتخاذ سياسة أكثر حزما، تجمع بين التهديد باستخدام القوة والدبلوماسية.

2.1.4. سياسة الزوارق البحرية:

يقصد بها إيفاد بعثات بحرية تصل لمشارف الجزائر، قصد التهديد باستخدام القوّة لإجبار الديوان على تعديل مواقفه، بتكليف الممثل الموكل من قبل السّلطة الرّسمية في لندن بالتفاوض مع سلطة الجزائر، وقد تتطور لاستخدام الضربة الوقائية في حال فشلت في تحقيق مساعيها، وهي السياسة التي كثيرًا ما لجأت إليها لندن عند فشل مساعيها الدبلوماسية ساعدها على تطبيقها ازدهار البحريّة الإنجليزيّة، وتطوّر سفنها التي زوّدت بخاصية إلقاء المتفجرات، ومن أشهر حملاتها على الجزائر حملة "روبير مانسيل" **1620**م؛ التي نفذت بأمر من الملك "جيمس الأول"[39] حملة "ادموند كاسون" **1646**م وحملة "لاوسن" **1660**م.

1.2.1.4. حملة روبير مانسيل 1620:

أصدر الملك الإنجليزي "جيمس الأول" قراره بضرورة تأديب الرياس الجزائريين، واقترح أميرال البحرية " **WilliamMonson**" القيام بتحالف بحري، انجليزي، هولندي، اسباني في حرب استنزاف تدوم لسنوات، غير أن الرأي اجتمع على إرسال حملة انجليزية بحرية بقيادة "روبير مانسيل" **Robert Mansell**، لإجبار الرياس الجزائريين على إطلاق الأسرى الانجليز، وتقديم التعويضات عن السّفن والسلع الإنجليزية التي تمّ الاستيلاء عليها في الأعوام الماضية، وانطلقت الحملة بعد إرشادات من القبطان "**ThomasSquib**" قبطان سفينة دعم سابق، الذي زوّد بها المستشار "**RobertWalsingham**" مؤسس جهاز الجوسسة والاستعلامات الإنجليزي بمعلومات قيمة عن خليج الجزائر ومراسيها، جمعها نتيجة أسره بها ومكوثه فيها فترة الأسر، وانطلقت الحملة يوم **12**أكتوبر **1620**م، ضمت **18** سفينة[40] وتضمنت خطة "مانسيل" البحريّة إتباع التدابير التالية:

– سلك طريق بحري في المتوسط لا يتعدى حدود جزيرة "سيردينيا" شرقا (لكونه وكرا لقراصنة شرق المتوسط).

– تقسيم القوّة البحريّة إلى ثلاث مجموعات؛ بحيث يكون جبل طارق ميناء اتصال وتجهيز مجموعة أخرى للرسوب "مالاقا" الاسبانية.

– تجنب أيّ عمل عدائي أو هجوم ضدّ مدينة الجزائر من شأنه، إثارة السلطان العثماني.

– تقديم لائحة المطالب الإنجليزية للباشا، وديوانه تتضمّن مطالب الملك "جيمس الأول" التي تتمثّل أساسًا في تحرير الأسرى الانجليز، وتقديم التعويضات عن مجموع ما نهب من سفن وسلع انجليزية.[41]

وبوصول الحملة إلى خليج الجزائر يوم **20** نوفمبر، رفع "مانسيل" ونائبة الراية البيضاء لتجنب ضربات الرياس الجزائريين، وأصدر تحية احترام للبحرية الجزائرية، فتمّ استقبالهم من باشا الجزائر "حسان كوسا" و وعدهم بعرض مطالبهم، أمام الديوان الذي يجتمع كلّ يوم ثلاثاء ورافق الوكيل التجاري الإنجليزي "**Frizell**"، الوفد الإنجليزي للتفاوض مع سلطات الجزائر ولعلّ رفع الراية البيضاء مع القدوم في حملة بحرية تضمّ العديد من القطع البحرية والرّجال، كان يقصد به أنّ نوايا السلام تسبق نيّة الحرب، واستهدفت إنجلترا وراء ذلك الحفاظ على قاعدة بحرية افريقية أمنة، قد تحتاجها في حال اندلاع حرب مع غريمتها اسبانيا [42]وكذا لإحراج السلطة السياسية، وإجبارها على التفاوض تحت تهديد الضربة الوقائية التي لم تتم أبدا، وعرض التفاوض لتحقيق الأهداف المرجوّة بأقل الخسائر، إذ لم يحاول بأي شكل من الأشكال القيام بعمل عداءي ضد مدينة الجزائر خوفا من قوتها[43]،وهذا تمامًا المقصود بسياسة الزوارق البحرية.

لقد حرص باشاوات الجزائر ورياسها على اتخاذ القرارات، بالتشاور بين أعضاء الديوان ورياس البحر دون أن التفريط في مصالحها، او إثارة الباب العالي ضدها. وقد حاولت فرض مبادئ سياستها الخارجية؛ بحيث أنّ إجابة الديوان على مطالب "**Manssel**" كان بتقديم قائمة للقائد الإنجليزي، تضمّنت عدد السّفن الجزائريّة والأسرى الذين تمّ الاستيلاء عليهم من قبل الإنجليز خلال الستة عشر عامًا الماضية[44]، وبالرغم من نجاح المفاوضين في تحرير بعض الأسرى الإنجليز، من باب المجاملة للباب العالي ،واتفاقهم على ترسيم العلاقة بين مملكة إنجلترا وإيالة الجزائر من خلال عقد الاتفاقية المبرمة بين الطرفان، وأصرار الباشا على تعيين قنصل

انجليزي[45]، إلا أنّها اعتبرت محاولات غير كافية لعدم تمكنها من انتزاع التزام رسمي دائم بعدم الاعتداء على سفنها ، واطلاق المئات من الأسرى العالقين.

قرّر "**Manssel**" المحاولة من جديد وتحضير حملة ثانية بمساعدة من اسبانيا، غير أنّه تمّ استدعاؤه أمام مجلس الملك؛ حيث تعرض للانتقادات، وبرّر فشله بقلّة الإمدادات وضعف الاتصالات وسوء الأحوال الجوّية، كما أرجع البعض الآخر فشلها في تركيز إنجلترا على حرب الثلاثين عامًا[46].فلطالما اولت إنجلترا اهتماما أكبر للمسائل الأوروبية، من قضاياها الخارجية.

وانتهت حملة **Manssel** الثانية بعقد ممثل إنجلترا لدى الباب العالي **Thomas Roe** معاهدة **1622**م ، وطلب التصديق عليها من باشا الجزائر، بحيث نصّت على التمثيل القنصلي بين البلدين من خلال تعيين الوكيل التجاري "**FrizeII**" قنصلاً لها في الجزائر، وإعادة سبعة عشر أسيرًا انجليزيا؛ غير أن ذلك لم يكن نهاية التوترات خاصة أن القوادس الإنجليزية تجوب الأطلسي، ولا تزال تخرق مبادئ السياسة الجزائرية بنقل سلع ورعايا الدّول المعادية.

2.2.1.4. حملة "ادموند كاسون" 1646:

لقد كانت نشاطات البحرية الجزائرية من أهم موارد الخزينة، بحيث شكلت أموال الفدية ونشاط تجارة الرقيق، العمود الفقري للاقتصاد الجزائري فالبحر بالنسبة للرياس، هو الحياة، – خاصة و أنّ لغالبيتهم نصيب واسع من تلك الغنائم –، وبالرغم من وجود مصادر أخرى كأموال "الدنوش" والنشاط الزراعي والتجارة الداخلية والصحراوية، إلا أنها تبقى غير كافية لسد العجز في الإيرادات إلاّ بالنشاط البحري، ولم ينجح القائمون على الإيالة في إيجاد مصادر أخرى للثروة في حال نقص الموارد الذي تتسبب فيه الهدنات واتفاقات الصلح المبرمة مع الدول الأوروبية، وعلى هذا الأساس استمر الجهاد البحري بالتوازي مع حركة القرصنة الأوروبية، والتجاوزات التي ترتكبها طواقم السفن التجارية، وهو الشيء الذي دفع بالرياس إلى تصعيد هجماتهم، لتصل مرحلة تتبع أوكار القرصنة في بحارها، فقد ردّ الجزائريون بحملات على سواحل

بريطانيا وبالتيمور واسكتلندا بقيادة "مراد رايس"، وتمكنوا من أسر **237** فردا[47]بالموازاة مع هجمات بحارة "سلا المغربية" على سواحل غرب إنجلترا وإيرلاندا، وهو ما خلّف رعبًا كبيرًا لدى الأهالي، وتسبّب في الأضرار بمصائد الأسماك المقامة هناك، وفي خسائر اقتصادية [48]ناهيك عن الخسائر البشرية، وقد استغلّت المعارضة الأحداث ضدّ سياسة "تشارلز الأول" وبرهنت على صحّة رؤيتها، وهو الأمر الذي دفعه لاتخاذ قرار بإرسال حملة بحرية لتحرير الأسرى الانجليز بقيادة الأميرال "**Edmund Casson**"، وهو ما يثبت أنّ الحكومة الإنجليزية تلجأ إلى انتهاج "سياسة الزوارق البحرية " مجددًا، كلما تعرضت لضغط شعبي على الحكومة والبرلمان البريطاني، فكانت ورقة رابحة لإثبات حسن النوايا من الملوك لشعوبهم، ووسيلة لإسكات الأصوات المعارضة . بحيث أصدر الملك "تشارلز الأول" قراره بإرسال حملة بحرية نحو سواحل المغارب تكون بدايتها بتونس، ثم تنتقل إلى الجزائر، بقيادة " **Edmund Casson**" في**16** أوت **1645** بحيث تم تجهيز سفينة **Ilinour** محمّلة بالبضائع والمؤونة، لكنّها تعرّضت لعاصفة بحرية، وتمّ نهبها على يدّ الأسبان قبالة جبل طارق[49].

وكذا جهيز حملة بحرية ثانية لتحرير الأسرى؛ بحيث استهدفت بحارة تونس والجزائر، على رأسها السفينة المسماة **Diamond**، لكنّها اختفت هي الأخرى في سواحل قادس، فتقرّر تجهيز حملة أخرى تحتمّ وصولها الآمن لسواحل مدينة الجزائر، وحمل المبعوث الإنجليزي وثيقة من الملك تضمّنت مطالبهم للرياس الجزائريين بتحرير الأسرى الإنجليز.

لم تكن البعثة الإنجليزية تهدف للمواجهة، بقدر ما كانت تهدف إلى الضغط على الرياس، واستقبل باشا الجزائر وكيل البرلمان الإنجليزي، ومبعوث الملك " **Edmund Casson**"، وتلقى منه والديوان كتاب البرلمان، وترافقت سياسة التهديد باستخدام القوّة، مع الدّعوة لإجراء المفاوضات لحلّ المسائل العالقة، وأيقن رياس البحر الجزائريون أنّه لم يكن لديهم مجال كبير للمناورة خاصة أن قوّة البحرية الانجليزية أصبح يحسب لها ألف حساب، وحاول المبعوث الإنجليزي، تحقيق مكاسب كبيرة بأقل خسائر ممكنة لاسيما حول الأسرى الإنجليز، والرعايا المقيمين، والنشاط التجاري والقنصلي، في مقابل تمسك الجزائر بمبادئها

الدبلوماسية، كاشتراط دفع الفدية مقابل التحرير، محتجةبأنّ أغلب الأسرى الإنجليز كانوا قد بيعوا من قبل الأوجاق، الذين غادروا لنصرة الباب العالي والجهاد في بلاد الشام، وانتهت المباحثات بتوقيع معاهدة عام **1646**م ،وتم الاتفاق على إعادة الأسرى الذين لم يسلموا للاوجاق بنفس السعر الذي بيعوا به اول مرة ، والاتفاق على التمثيل القنصلي لإنجلترا في الجزائر [50]، الا ان الكثير من الإنجليز عارضو هذه الحملة، بسبب أنّها مُوِّلت عبر زيادات كبيرة في الضرائب، التي تضرّر منها التجار. كما وضعت مصالح إنجلترا التجارية في المشرق ، في مخاطرة كبيرة، في وقت تميّز بعدم الاستقرار السياسي الذي تعاني منه إنجلترا وظروف الحرب الأهلية.

وقد وجد البرلمان حلاً لمشكلة فدية الأسرى من خلال "التصويت على قانونين يتعلقان بالقرصنة، يتعلق **الأول** بفداء الأسرى، أما **الثاني** فقد أقر بتخصيص **15** بالمائة، من الميزانية لبناء سفن القوافل التجارية التي أصبحت أكثر قوّة، وأدى ذلك إلى انخفاض عمليات الأسر للإنجليز"[51]. ومع حلول النصف الثاني من القرن السابع عشر ابتكر الانجليز أسلوبًا جديدًا لحماية السفن التجارية من الاستيلاء؛ تمثّل في "مرافقة الأسطول الحربي للقوافل التجارية"، فأصبحت تنتقل بسلام وانتظام على طرق الشحن البحرية، وقلّة من البحارة يجرؤون على اعتراضها. وأخذت الفرقاطات تحلّ محلّ السفن الكبيرة البطيئة في الأسطول الإنجليزي[52]، في حين طور الأسطول الجزائري من أساليبه، اغير ان السلطات في الجزائر لم تبتكر مصادر دخل جديدة لتمويل خزينتها، بحيث بقيت الغنائم البحرية والفديات ،اهم موردً لخزينتها ،وهو ما صعّد من تشبث الرياس بالجهاد البحري والأسرى.

استمر عقد المعاهدات التي تفرضها سياسة "الزوارق البحرية على غرار معاهدة **1662**م، عقب استيلاء الريّاس على سفينة "الملك داوود" ومعاهدة **1664**م، وقد اصبح مركز إنجلترا اكثر قوة في الحوض الغربي لمتوسط ،بعد استيلاءها على قاعدة "طنجة البحرية" سنة **1661**[53]، وهو ما جعلها تفاوض الديوان الجزائري ، من منطلق القدرة على التهديد

،وامام تدهور العلاقات الجزائرية الفرنسية [54] قدر الديوان الجزائري توازنات القوى، وقرر مهادنة الانجليز بإبرام السلم المئوي مع إنجلترا من خلال معاهدة **1682**م[55] وأعقبتها عدّة معاهدات في القرن السابع عشر انتهت بتحرير أغلب الأسرى الانجليز وتحقيق امتيازات تجارية وسياسية جديدة، بعد دفع إنجلترا لمئات السفن البحرية والوساطات الدبلوماسية، وما إن حلّ عام **1698**م حتى كانت مسألة الأسرى الانجليز ، قد وجدت طريقها للحلّ، في حين بقيت الجزائر متمسّكة بحقّ تفتيش السّفن الإنجليزية ، للتّأكد من خلوها من البضائع الأجنبية خاصة الاسبانية، وإلزامية دفع فدية الأسرى وهو المورد المالي الذي تعتمد عليه دولة بحرية الطابع ، دفاعية السياسة.

وانتهى قرن الدبلوماسية، وسياسة الزوارق البحرية، دون أن ينتج قوّة بحريّة مهيمنة على البحر المتوسط.

5. خاتمة:

وخلصت من خلال هذه الورقة البحثية إلى مجموعة من **النتائج** لعلّ أهمها ما يلي:

– لم تسفر سياسة الزوارق البحرية من خلال حملتي "**Manssel**" و" **Edmund Casson**" اوحملة "**Arthur Herbert**"عن انتصار انجليزي، بقدر ما عزّزت من تمسك الإيالة بمبادئها في دفع الفدية وفرض شروطها عند التفاوض، ونجح الرياس في فرض شروطهم فيما يتعلق بقوانين الملاحة وطبيعة التصاريح التي يجب أن تحملها سفنهم، وعدد الأجانب المسموح لهم، وحافظوا بنجاح على حقهم في تفتيش السفن، بينما فشل الانجليز في الهيمنة على البحر المتوسط، إلا بصفة متقطعة ومؤقتة.

– لا يعني عقد الاتفاقيات ومعاهدات السلام بين إنجلترا والجزائر بالضرورة وقف التوتر والمواجهات التي استمرت لاحقًا بمجرد خرق أحدهما للالتزامات، ولم تتمكن الدولة العثمانية من فرض سلطتها على الجزائر فيما قد يهدّد مصالحها، بحيث تمسّكت الجزائر بقدر كبير من المسؤولية التقديرية لمصالحها، وبالاستقلال في القرار السياسي، بعيدًا عن سلطة الباب العالي.

6. الإحالات:

[1] , Péllisiè du Rausas, **Le régime des capitulations das lemire ottomane**, p 6.

[2] Paul, Masson, **Histoire du commerce Français dans le levant au xvll siècle**, Thèse présentée a la Facultés des lettres de Paris, Librairie Hachette & Cie, 1896, p :09.

[3]ليلى، **الصباغ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني**، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1989 ، ص 144

[4]Péllisiè du Rausas, Le régime des capitulations dans l'empire ottoman، op cit, p 6

[5] -Michael,Talbo , op cit, p:20.

[6]يلماز، اوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، الجزء الأول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل**، اسطنبول، (د.ط)، (د.ت)، ص: 39.

[7] Alfred c wood, A history of a Levant company, Frank cass& LTD,1964, p2.

[8]خليل، اينالجيك، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، ترجمة مُحَّد الارناؤوط، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002، ص215.

[9]شركة "الليفانت"، شركة تجارية انجليزية، تأسست في 11 سبتمبر1581 ، برعاية الملكة "اليزابيت" بهدف الاشراف على التجارة البريطانية في المشرق العثماني، وتولت تعيين القناصل والسفراء الانجليز، ودفع مستحقاتهم، للمزيد، انظر:

Alfred c. Woo, **A history of the Levant Company**, Oxford University press, 1935

[10] Michel ،Talbot, op. cit,p: 21

[11]الدولة الصفوية، (1501 –1722) هي دولة شيعية، على المذهب الاثني عشر، تأسست على انقاض الدولة التيمورية، بتأثر من الطريقة الصوفية وشيخها الروحي "صفي الدين الأدربيلي "، فامتدت على يد "إسماعيل بن أوزون حسن "في المناطق الممتدة بأذربيجان وإيران، وأرمينية وشرق الأناضول، وقد ساعده على ذلك المتمردين التركمان،

المحسوبين في الأصل على الدولة العثمانية، وهو ما يشكل تهديد ا للدولة العثمانية، بحيث عمل "إسماعيل الصفوي" المؤسس الفعلي للدولة على توسيع مجالها لحدود الدولة العثمانية زمن السلطان "بايزيد الثاني" الذي تميزت سياسته تجاهها بالتساهل والمهادنة، فلم يثر للخطر الصفوي اهتماما بالرغم من كون الدولة الصفوية، اتخذت من الدولة العثمانية اول اعداءها، نظرا للاختلاف المذهبي، وعملت على تجسيد تلك التهديدات بتوسعاتها على حساب دولة المماليك، ودخولها بغداد عام 1508 وطمعت بضم إمارة "طرابزون" التركية وتوسعت غاية إمارة "ذي قار"، بحيث تصدى لخطرها "سليم بن بايزيد الثاني" لإدراكه لخطورتها، وشنّ ثلاث حملات عليها، فضمّ "جورجيا" واسترجع شرق الأناضول، وبقيت الدولتان في صراع طويل، للمزيد، انظر : الجاف، حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران السياسي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 2001، د نايف عيد السهيل، العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب ، جامعة القاهرة.

[12] Haykult, Richard, **The principal navigations، voyages trafiques and discoveries of English Nations، made by sea or over land، south and south East parts of the world**, 2nd pub، London، George Bishop، Ralph New Berry، Robert Baker,1599, P: 266.

[13] De Gramon، **Histoire d'Alger sous la domination turque15151830-** , Ernest, Le roix, éditeur, Paris 1887, p :170.

[14] Belhamissi, Moulay, Belhamissi, **Marine et Marins d'Alger,1518-1830** , Tome 1, les navires et les Hommes,1996, p :48.

[15] Adrian, Tinnis. Wood, (2010). **pirates of Babary, corsairs, couquets, and captivity in the seventeeth- century Mediterranean**, New york, Erranean Rerner head Bookes Erranean Rernerhead Bookes.

[16]جون، وولف، **الجزائر وأوروبا، 1830- 1500**، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، عالم المعرفة، 2009، ص: 243 .

[17]بوعزيز، يحي، **علاقات الجزائر الخارجية بدول وممالك أوروبا**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1980، ص: 110.

[18] Robert, Danis, Christian slaves, Muslim, Masters, **White slavery in the Mediterranean, the Barbary Coast and Italy ,1500-1800**, General editor: Rabb Houston and Edward Mur, p: 3 .

[19] op cit., p :6.
[20] op cit., p :6.
[21] Pierre Dan, **Histoire de Barbarie et de ses corsaires 1517 -1882**, p : 32.
[22]

https://www.state.papers.foeign.piracies

كما اثبتت الحرب المزمنة بين إنجلترا والامبراطورية المقدسة ان الصراع الديني، وما انعكس عنه من حرب بحرية وتنافس على مناطق العالم الجديد، والطرق التجارية والنهب عرفت القرصنة أوج قوتها، لتصبح واحدة من أهم أسلحة الحرب، التي ضاعفت من حجم التجارة الإنجليزية، التي اقترنت في بدايتها بالنهب في البحار، خاصة في الأطلسي والكاريبي، ناهيك عن التسابق الاستعماري نحو العالم الجديد وما ترتب عنه من ضم ملاين الشعوب تحت الاستعباد والاحتلال، للمزيد حول القرصنة الإنجليزية انظر: Charles Johnson, A General history of a pirates, London, 1724

[23] قنان، جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1994، ص: 47.
[24] المرجع نفسه، ص: 39.

[25] محمد الأمين، بوحلوفة، **العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر العثمانية وانجلترا، قراءات من خلال الكتابات الفرنسية في المجلة الافريقية قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية." العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر العثمانية وانجلترا، قراءات من خلال الكتابات الفرنسية في المجلة الافريقية**، 2018، ص: 10 .

[26] Robert Lambert، Play fair, **The scourge of Christendom, Annals of British relations with Algiers Prior to the France Conquest**, Smith, klder &Go, 1884, London, p: 27

[27] Matar, op cit, p 8

[28] سامح الترّ، عزيز، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، الإصدار 1، (محمود علي عامر، المترجم). دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ص:295، 198.

[29] Nabil, Matar, **Britain and Barabary, 1589- 1689** ,(2011) , first published , Oxford University press, INC New York. P:8.

[30] Bernard, capp, (2022). **British slaves and Barbary corsairs1580 -1750 (1 ed.)**. Oxford university press. P:120.

[31] Robert, Lambert, Plaifer, (1884), **The scourge of Christendom,Annals of British relations with Algiers prior to the France conquest** (smith,klder&Go ed), London.p29.

[32] [32] -Ibid,p:33.

[33] جون، وولف. (2009)، **الجزائر وأوروبا 1500 –1830** ، (ابوالقاسم سعد الله، المترجم) دار الرائد ،عالم المعرفة، ص:179.

[34] إدريس الناصر رائسي. (2008)، **العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر**، الإصدار 1، دار الهادي، ص: 159.بيبسسس

[35] نبيل، مطر ،(2002)، **الإسلام في بريطانيا 1585–1685**، (بكر عباس المترجم)، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص:24 .

[36] Bernard, capp, (2022), British slaves and Barbary corsairs1580 -1750 (1 ed.). Oxford university press. P:120.

[37] Robert, Lambert, Plaifer, (1884), **The scourge of Christendom,Annals of British relations with Algiers prior to the France conquest,** (smith,klder&Go ed.). London. P:120.

[38] نبيل، مطر ،(2002) الإسلام في بريطانيا 16851585-. (بكر عباس المترجم)، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص: 21.

[39] [39] – جون، وولف. (2009). الجزائر واروبا 1500 –1830 . (ابوالقاسم سعد الله، المترجم) دار الرائد ،عالم المعرفة، ص: 224.

[40] Robert, Lambert, Plaifer, (1884), **The scourge of Christendom,Annals of British relations with Algiers prior to the France conquest** (smith,klder&Go ed.). London. P: 38.

[41] Adrian, Tinnis. Wood, (2010), **pirates of Babary, corsairs, couquets, and captivity in the seventeeth- century Mediterranean**, New York, Erranean Rernerhead Bookes, p p: 103-122.

[42] Corbett, Julian, Stafford, (1904**) England in the Mediterranean**, a story of the rise and influence v I,p116
[43] 43- Ibid,p:115.

[44] Adrian, Tinnis. Wood, (2010), **pirates of Babary, corsairs, couquets, and captivity in the seventeeth- century Mediterranean**. New york: Erranean Rernerhead Bookes,p: 101.

[45] محمد الأمين،بوحلوفة. (2018). **العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر العثمانية وانجلترا، قراءات من خلال الكتابات الفرنسية في المجلة الافريقية** 1. مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، ص:144.

[46] جون، وولف. (2009). **الجزائر وأوروبا 1500 –1830** . (ابوالقاسم سعد الله، المترجم) دار الرائد، عالم المعرفة، ص: 224.

[47] Dan, Pierre. (1637). **Histoire de Brbary et de ses corsairs 1517-1882**. paris: pierre Rocolt & lib ordin du Roy. P:313.
[48] Esra, Jo**17** . (2016) .**century Barbary piracy and the west country fisheries** ,TROZ , v 7 November 1 – mars. p :10.
[49] Robert, Lambert, Plaifer, (1884). **The scourge of Christendom,Annals of British relations with Algiers prior to the France conquest,** (smith,klder&Go ed.). London. P:58.
[50] playfair,Ibid, p :67.
[51] Esra, Jo17 . (2016) .**century Barbary piracy and the west country fisheries** ,TROZ , v 7 November 1 – mars. p :17.
[52]www.british-history-ac uk /search/seriescal-state-papers-foeign .Piracies. (1573) (www. military history.org pirate: the Royal Navy and the suppression of maritime rai ding 1620-1830).

[53] اصبحت "طنجة" على الساحل الأطلسي ملكية انجليزية بمقتضى زواج الاميرة "كاترينا براغانزا "من "شارل الثاني"، وقدمت كمهر مقابل هذا الزواج، اقامت فيها إنجلترا ميناء بحري لتسهيل نشاطها التجاري، وامتدت سيادتها على القاعدة لغاية سنة 1684، للمزيد حول قاعدة طنجة البحرية انظر:

EMG ,Routh, Tangier, Tangier England's lots at antique outpost,1661-1684,

[54]تصاعد التوتر الى هجوم فرنسي كاسح على مدينة الجزائر تحت قيادة Duquesne سنة 1681للمزيد في هذا الموضوع، انظر: ابن رقية التلمساني، الزهرة النيرة، فيما جرى للجزائر حين اغارت عليها الكفرة، ترجمة الفونسو روسو،

[55]وقعها عن الجزائر الداي "حسين ميزومورتو" ، وعن مملكة إنجلترا" الادميرال "ارثر هربرت" ،للمزيد حول نص المعاهدة، انظر موسوعة الاستاذ "على تابليت : "**معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية1619 –1830**. طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، د.ت، ص ص: 190- 147-

7. قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

1. إدريس الناصر رائسي. (2008)، **العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر**، الإصدار 1، دار الهادي.
2. بوعزيز، يحي، **علاقات الجزائر الخارجية بدول وممالك أوروبا**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1980م.
3. جون، وولف، **الجزائر وأوروبا، 1830– 1500**، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، عالم المعرفة، 2009م.
4. خليل، اينالجيك، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، ترجمة مُحَمَّد الارناؤوط، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م.
5. سامح التر، عزيز، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، الإصدار 1، (محمود علي عامر، المترجم). دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
6. قنان، جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1994م.
7. ليلى، **الصباغ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني**، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1989م.
8. مُحَمَّد الأمين، بوحلوفة، **العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر العثمانية وانجلترا، قراءات من خلال الكتابات الفرنسية في المجلة الافريقية قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية." العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر العثمانية وانجلترا، قراءات من خلال الكتابات الفرنسية في المجلة الافريقية**، 2018م.
9. نبيل، مطر ،(2002)، **الإسلام في بريطانيا 1585–1685**، (بكر عباس المترجم)، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

10. يلماز، اوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، الجزء الأول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل**، اسطنبول، (د.ط)، (د.ت).

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Adrian, Tinnis. Wood, (2010), pirates of Babary, corsairs, couquets, and captivity in the seventeeth- century Mediterranean, New York, Erranean Rernerhead Bookes.

2. Alfred c wood, A history of a Levant company, Frank cass& LTD,1964.

3. Belhamissi, Moulay, Belhamissi, Marine et Marins d'Alger,1518-1830 , Tome 1, les navires et les Hommes,1996.

4. Bernard, capp, (2022). British slaves and Barbary corsairs1580 -1750 (1 ed.). Oxford university press.

5. Corbett, Julian, Stafford, (1904) England in the Mediterranean, a story of the rise and influence v I.

6. Dan, Pierre. (1637). Histoire de Brbary et de ses corsairs 1517-1882. paris: pierre Rocolt & lib ordin du Roy. P:313.

7. De Gramon ،Histoire d'Alger sous la domination turque1515-1830 , Ernest, Le roix, éditeur, Paris 1887.

8. Esra, Jo. (2016) . 17century Barbary piracy and the west country fisheries ,TROZ , v 7 November – 1 mars.

9. Nabil, Matar, Britain and Barabary, 1589- 1689 ,(2011) , first published, Oxford University press, INC New York.

10. Paul, Masson, **Histoire du commerce Français dans le levant au xvll siècle**, Thèse présentée a la Facultés des lettres de Paris, Librairie Hachette & Cie, 1896.

11. Péllisiè du Rausas, **Le régime des capitulations das lemire ottomane**.

12. Pierre Dan, **Histoire de Barbarie et de ses corsaires 1517 –1882**

13. Robert Lambert ،Play fair, The scourge of Christendom, Annals of British relations with Algiers Prior to the France Conquest, Smith, klder &Go, 1884, London.

14. Robert, Danis, Christian slaves, Muslim, Masters, White slavery in the Mediterranean, the Barbary Coast and Italy ,1500-1800, General editor: Rabb Houston and Edward Mur.

15. Robert, Lambert, Plaifer, (1884). The scourge of Christendom,Annals of British relations with Algiers prior to the France conquest, (smith,klder&Go ed.). London. P:58.

16. ykult, Richard, The principal navigations ،voyages trafiques and discoveries of English Nations ،made by sea or over land ،south and south East parts of the world, 2nd pub ،London ،George Bishop ،Ralph New Berry ،Robert Baker,1599.

مواقع الأنترنت:

https://www.state.papers.foeign.piracies

www.british-history-ac uk /search/seriescal-state-papers-foeign .Piracies. (1573) (www. military history.org pirate: the Royal Navy and the suppression of maritime rai ding 1620-1830).